الا ان ظاهرة العجز العامة التي تسم المرحلة ، لا تتبدى في النص الروائـــي باستواء ووجدة ، بل على العكس تتمثل على اختلاف وتمايز يحملان دلالاتها الخاصة في توضيـح الادوار المساهمة في هذا العجز ، وبالتالي المسؤوليات المختلفة التي تترتب على القائمين بـــه ٠

واذا تتبعنا هذا الجانب لدى شخصيات الرواية الاساسية ، فاننا نجد اوضاعهـــا الخاصة توحي بهذا التنوع والتمايز ، مما يتيح تبين دور كل منها في البنية العامـــة للرواية ٠

لا شك ان دخول كل من هذه الشخصيات في الرواية يأتي معبرا الى حد كبير عـــن وضعهـــا العام ٠

فمروان يخرج من دكان سمسار البصرة السمين مطرودا ذليلا وطنين الكف الذي ناله منه لم يكن بعد قد انتهى عند الدوران بين اذنيه (٣٢) ، والتهاب اصابع الرجل على خده الايسر لم يكن قد فتر بعد (٧٣) ٠٠٠

وابو قيس يتمدد على تراب الشط باحثا فيه عن عزاء لما واجهه به سمسار البصـــرة من صعوبة مذلة دفعت به للخروج باكيا (٤٩ ــ ٥٠) ٠٠٠

اما اسعد فيقف في مواجهة هذا السمسار ويناقشه قبل ان ينتهي الى الاتفاق معه (٠٠٥٣)

في الحين الذي يتقدم ابو الخيزران من مروان ويده تربت على كتفه ، ليتحدث معه حول وضعه قبل ان يتفق معه على ان يهربه الى الكويت (٧٤ ٠٠٠)

فيتبدى لنا بسهولة قصور مروان وعجز ابي قيس وسجالية اسعد وجسمانية ابـــي الخيزران ٠

وكنا قد اشرنا من قبل الى تفاوت اعمار هذه الشخصيات المنسجمة مع ما تملكه مـــن مال ، هذا التفاوت الذي يؤكد ما يوميء اليه دخولهم في النص الروائي ٠ (*)

(*) رغم ان مروان هو الوحيد الذي يورد النص عمره ــ ١٦ سنة (٧٢) ــ بينمـــا لا يذكر عن ابي قيس سوى انه « رجل عجوز » (٤٨) ، وان اسعد في عمر الزواج الحـــرج بالنسبة لابنة عمه (٦١) وان اباالخيزران كان قد « خدم في الجيش البريطاني فـــي فلسطين قبل عام ١٩٤٨ اكثر من خمس سنين » (٩٤) فاننا نكاد نلمح تراتبية دقيقة في الاعمار تعلن عن نفسها سنة ١٩٤٨ على هذا الشكل تقريبا : مروان : ٦ سنوات ، اسعد: ١٢ سنة ، ابو الخيزران : ٢٤ سنة ، ابو قيس : ٤٨ ، اي انها تعتمـــد على الرقم ٦ ومضاعفاته التي تبقى الاعمار في وحدة بنيوية قوية ٠ فيأتي الخروج من فلسطين ولوجـا في السنة السابعة ــ سنة الخطر والموت ــ لتفقد الاعمار فيها تلك الوحدة ويكون تشتتهـا صورة عن التفتت العام الذي طرأ ، فتكون اعمار هذه الشخصيات سنة ١٩٥٨ على هـذا ←